

تفسير البحر المحيط

@ 284 @ بِعَدْرِ مَا جَاءَتْهُمُْ الْبَيِّنَاتُ { قيل : في الكلام حذف ، التقدير :
فاختلف أممهم واقتتلوا . ولو شاء الله ، ومفعول شاء محذوف تقديره : أن لا تقتتلوا ، وقيل
: أن لا يأمر بالقتال ، قاله الزجاج وقال مجاهد : أن لا تختلفوا الاختلاف الذي هو سبب
القتال ، وقيل : ولو شاء الله أن يضطرهم إلى الإيمان فلم يقتتلوا ، وقال أبو عليّ بأن
يسلبهم القوى والعقول التي يكون بها التكليف ، ولكن كلفهم فاختلفوا بالكفر والإيمان .
وقال عليّ بن عيسى : هذه مشيئة القدرة ، مثل : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي
الْأَرْضِ كُلِّهُمْ جَمِيعًا } ولم يشأ ذلك ، وشاء تكليفهم فاختلفوا وقال الزمخشري :
ولو شاء الله مشيئة إلجاء وقسر ، وجواب : لو ما اقتتل ، وهو فعل منفي بما ، فالفصح أن
لا يدخل عليه اللام كما في الآية ، ويجوز في القليل أن تدخل عليه اللام ، فتقول : لو قام
زيد لما قام عمرو ، و : من بعدهم صلة للذين ، فيتعلق بمحذوف أي : الذين كانوا من بعدهم
، والضمير عائد على الرسل ، وقيل : عائد على موسى وعيسى وأتباعهما . .
وظاهر الكلام أنهم القوم الذين كانوا من بعد جميع الرسل ، وليس كذلك ، بل المراد : ما
اقتتل الناس بعد كل نبي ، فلف الكلام لفاً لم يفهمه السامع وهذا كما تقول : اشتريت خيلاً
ثم بعته ، وإن كنت قد اشتريتها فرساً فرساً وبعته ، وكذلك هذا ، إنما اختلف بعد كل
نبي ، و : من بعد ، قيل : بدل من بعدهم ، والظاهر أنه متعلق بقوله ما اقتتل ، إذ كان
في البينات ، وهي الدلائل الواضحة ، ما يفرض إلى الاتفاق وعدم التقاتل ، وغنية عن الاختلاف
الموجب للتقاتل . .
{ وَلَآكِنَّ اخْتَلَفُوا } هذا الاستدراك واضح لأن ما قبلها ضد لما بعدها ، لأن المعنى
: لو شاء الاتفاق لا تفقوا ، ولكن شاء الاختلاف فاختلفوا . .
{ فَامِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَامِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ } من آمن بالتزامه دين الرسل
واتباعهم ، ومن كفر باعراضه عن اتباع الرسل حسداً وبغياً واستئثاراً بحطام الدنيا . .
{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا } قيل : الجملة تكررت تأكيداً للأولى ، قاله
الزمخشري . وقيل : لا تأكيد لاختلاف المشيئتين ، فالأولى : ولو شاء الله أن يحول بينهم وبين
القتال بأن يسلبهم القوى والعقول ، والثانية : ولو شاء الله أن يأمر المؤمنين بالقتال ،
ولكن أمر وشاء أن يقتتلوا ، وتعلق بهذه الآية مثبتو القدر ونافوه ، ولم يزل ذلك مختلفاً
فيه حتى كان الأعشى في الجاهلية نافياً حيث قال : % (استأثر الله بالوفاء وبالعد % .
ل وولى الملامة الرجال .

. %)

وكان لبيد مثبتاً حيث قال : % (من هداه سبل الخير اهتدى % .

ناعم البال ومن شاء أضل .

. %)

{ وَلاَ كَيْنَ اللَّاهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } هذا يدل على أن ما أراد [] فعله فهو كائن لا محالة ، وإن ارادة غيره غير مؤثرة ، وهو تعالى المستأثر بسر الحكمة فيما قدّر وقضى من خير وشر ، وهو فعله تعالى . وقال الزمخشري : ولكن [] يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة ، وهذا على طريقة الاعتزالية . .

قيل : وتضمنت هذه الآية الكريمة من أنواع البلاغة : التقسيم ، في قوله : { مِّنْهُمْ } مِّنْ كَلَامِ اللَّاهُ { بلا واسطة ، ومنهم من كلمه بواسطه ، وهذا التقسيم اقتضاه المعنى ، وفي قوله { فَمِنْهُمْ } مِّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مِّنْ كَفَرَ { وهذا التقسيم ملفوظ به . و : الاختصاص ، مشاراً إليه ومنصوباً عليه ، و : التكرار ، في لفظ البيئات ، وفي { وَلَوْ شَاءَ اللَّاهُ مَا اقْتَتَلُواْ } على أحد التأويلين . و : الحذف ، في قوله { مِّنْهُمْ } مِّنْ كَلَامِ اللَّاهُ { أي كفاحاً وفي قوله { يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } يعني من هداية من شاء وضلالة من شاء . .

{ يُرِيدُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنْ نَفْقُوهَا وَمِمَّا رَزَقْنَاكُمْ } مناسبة

هذه الآية لما قبلها